# ديناميكية الصليب في حياتي

**ليس الصليب هو المصيبة والتجربة التي تحل بالإنسان، بل هي الاختبار اليومي للشركة مع يسوع المصلوب**، هو سلاح غلبتنا للعالم، وترنيمة الانتصار على أهواء الجسد والذات.

**الصليب هو مركز التعامل مع الله** لكل إنسان: للكاهن، للشاب، للشابة، للطالب في كليته، للموظف في عمله، للزوج والزوجة - الاحتكاك اليومي مع العالم - مع الناس، مع البائع - في الترام، في الشارع...

**هو سلاحنا أثناء الحرب الروحية**، وهو ينبوع حبنا وخدمتنا للجميع، وهو مصدر تعزية عجيبة في الضيق - هو طريق الحرية والسعادة والتسليم لله...

**من فقد صليبه، فقد مسيحيته**، ومن فقد اختباره للصليب فقد اختباره للآب، لأن الجلجثة كانت مكان لقاء

الإنسان مع الله، حيث الحب والغفران والانتصار على الظلم والعالم وتسليم المشيئة وسرور الابن...

**الصليب هو حياتي:** فلا حياة إلا من خلال الصليب وأنا في ديناميكية مستمرة، عليه أصلب ذاتي، وبه أصلب العالم، ومنه أستقى ينابيع معرفة حب الله ليَّ...

## الصليب سلاح الطهارة

**الطهارة سر القوة:**

عندما تدخل النجاسة حياة إنسان، يتحول الجسد إلى أتون مستعر يوقد الشهوات حيث يحرق به نفسه بنفسه... إلى أن تضمحل قوى الإنسان ويذهب نور عينيه بلا رجعة.

فهكذا انتهى جبروت شمشون، فالعين التي اشتهت دليلة أشعلت نار الشهوة في قلبه حتى احترق بها وصار بلا قوة... أخيراً فقئت عيناه ونزل عن سيادته (٢ بط ٢: ١٠) فصاروا يستخدمونه بدل الثور.

+ + +

**أولا: العين سراج الجسد (مت ٦ : ٢٢)**

إذا اشتعلت العين بنار الشهوة، فقدت نورها وفقد الجسد سراجه فصار كله ظلام.

العين وحدها قادرة أن تجعل حياتي كلها ظلام بلا نور المسيح، وتحول كل حواس الجسد للعمل في الظلام، وتملأ القلب ظلاماً ... حينئذ يتحول الجسد كله إلى قبر مظلم.

**العين هي الكاميرا للإنسان:**

بواسطة العين تطبع الصور في الفكر كما تلتقط الكاميرا الصور على الفيلم الحساس - ومن هذا الفيلم يمكن أن يطبع الإنسان آلاف الصور. ومن هنا جاءت خطورة العين، لأنه عن طريقها تلتقط الصور لحساب **الشيطان** حيث **ينسخ منها آلاف النسخ كحق من حقوقه ليعرضها عليّ في أية لحظة يريد**، فيثير الشهوة ويكدر ويعذب حياتي ويحولها إلى جحيم... حيث يتحول الفكر والمخيلة مركزاً للصور تعرض عليه ولو بعد عدة سنين حتى ولو في الأحلام... حتى بعد التوبة والاعتراف!

**إلهي: لقد عرفتني من أين أبدأ... حتى أنك قلت لي خير لك أن تقلع عينك... إلهي كيف أستعيد سراج جسدي ونور عيني المفقود، هل سأغمض عيني أم سأقلعها؟!**

**الفصل بين القوات**:

للإنسان ثلاث قوى هامة: **النظر والفكر والقلب** وهذه هي أخطر القوى في حياتي. ولأجل إعادة الطهارة للعين، يجب تحرير الفكر والقلب عن النظر - بقوة صليب ربنا الذي هو سلاح الغلبة.

**مثال ذلك**: عندما تكون العين تنظر منظراً يكون الفكر في نفس اللحظة منفصلاً ومفكراً في الله ويكون الصليب هو القوة القادرة على الفصل بينهما. وهكذا ينتهي هذا التدريب إلى أني في كل مرة أنظر لأي منظر يكون الفكر بقوة خاطفة سريعة يفكر في الله، عندئذ يكون الفكر حراً عن النظر - بمعنى أنه يكون حراً يفكر فقط فيما لله.

عندئذ ستصير العين بسيطة ومنيرة ترى نور الله في كل الخليقة لأن قوة الفكر ستكون دائماً ثابتة في الله وقوة القلب منشغلة بحبه.

وتعبر الكنيسة عن حركة رفع القلب لله أثناء النظر بصلاة الساعة السادسة (١٢ ظهراً) وقت صلب ربنا بقولها:

"بالمسامير التي سمرت بها انقذ عقولنا من طياشة الأعمال الهيولية إلى تذكار أحكامك السمائية كرأفتك".

فهذه الطلبة تعبر بدقة عن الفصل بين الشهوات المنظورة الهيولية - وانقاذ الفكر عن الطياشة وتحويله بواسطة الصليب والمسامير إلى المناظر الإلهية في مرحلتين خاطفتين:

+ **تسمير الفكر**: بعدم الطياشة في المناظر الهيولية لانتزاع شهوة التلذذ الجنسي من العين.

+ **ثم رفع الفكر** للالتصاق بالله وتذكر الأحكام السماوية.

**العين المصلوبة**:

العين تريد أن تشبع من النظر... العين تشتهي النظر. داود النبي نظر واشتهى، وآدم وجد الشجرة "بهجة للعيون شهية للنظر" (تك ٣ : ٦)، ***"من نظر ليشتهي"*** (مت ٥ : ٢٨). **وأولاد الله لهم مناظر شهية وحسنة** يشبعوا العين منها: **الصليب لا يجب أن ننظر إليه نظرة عابرة بل أن نمتلئ ونشبع منه** ... منظر يسوع واقعاً تحت الصليب ... منظر جراحاته ... منظر جلداته ... منظر المسامير ... منظر التفل على وجهه الطاهر ... منظر الفم العطشان ... منظر الأذرع المفتوحة ... منظر الرأس المنكس ... إنها مناظر شهية جداً يجب أن تتدرب العين على التمتع بها والامتلاء منها - إنها شهية ومشبعة...

مناظر الرب يسوع في مواقفه المختلفة: منظره وهو يحملني أنا الخروف الضال، منظر الآب وهو يحتضني، منظره وهو يقرع على الباب، منظر الخاطئة والدموع نازلة على رجلية ... إنها مناظر شهية ومشبعة.

كذلك كل صورة للقديسة مريم العذراء مشبعة جداً للنفس ومفرحة لها جداً.

عندئذ تبدأ العين تأنف مناظر العالم لأنها لا تشبع إلا من المناظر الإلهية.

**والعين المصلوبة عين مختونة لله:** حيث تتدرب في المخدع على القداسة والطهارة وتخزين الصور الشهية للصليب في قاع العين ليستخدمها الفكر ويتمتع بها إلى أن ينام بسلام في بحر من هذه المناظر الشهية.

وهى **عين مقلوعة:** إن قلع العين وصية إنجيلية, وهى أجمل صورة لقوة الصليب الذي أعطيت لكل واحد منا. إن ابراهيم أخذ ابنه الوحيد (عينه الوحيدة) **وقام ليذبحه بفرح داخلي،** وهو يعتبر طاعة الله أكبر مكسب عن خسارة ولده... ولما رأى الله أمانته في الذبح، وفرحه ومحبته وطاعته أراه يومه (أي يوم صلبه)، ففرح إبراهيم وتهلل ورأى المسيح يذبح عوضاً عن ابنه الذي رجع حياً.

فإذا كنت جاداً في مقاومة النظرة الشريرة حتى صلب العين (أي قلعها) فإن الله سيرى أمانتك ويعطيك عيناً طاهرة ونقية في اللحظة التي سترفع السكين عليها.

إن هذا القلع بالنية بقوة الصليب، له قوة إيجابية منتصرة خالية من الكبت ومملوءة بالفرح، ومتلامسة مع قدرة الله غير المحدودة وقوة الخلاص التي في صليب ربنا.

**عين المسيح:** هي عين النفس التي تحررت بالصليب من الفكر الطائش، هي عين بسيطة ثمرة لقوة الصليب في حياتها، هي العين المثبتة دائماً في كل ما هو لله - ترى الله في كل شيء وفي كل خليقته - ترى الله في قلب المرأة الخاطئة، في قلب العشار، في قلب اللص... سيكون الله هو محور حركتها لأنها عين مكرسة مختومة بمسحة الميرون المقدس.

+ + +

**ثانياً: صليب اللذة**

ولكن ما الذي يدفعنا للنظرة غير البسيطة، بعد أن أدركنا أن العين هي سراج الجسد، وهى قادرة بإنحرافها أن تحول الجسد كله إلى أتون وجحيم تنتهي فيه حياة الإنسان؟:

**الدافع هو اللذة المؤقتة:** ***"نظر ليشتهي"*** (مت ٥: ٢٨).

وهذه اللذة هي السبب في تكوين العادات الجسدية المختلفة التي يصبح الإنسان عبداً لها، مثل اللذة الجنسية، ولذة الأكل ولذة النوم الكثير والكسل.

**واللذة الجسدية تقتل فينا المثابرة والجهاد وقراءة الإنجيل...**

واللذة الجسدية تولد فينا النظرة الشريرة وحب قراءة المجلات والجرائد والأحاديث التافهة، والتلفزيون والكتب التافهة المنتشرة اليوم في السوق، وطياشة العقل طول اليوم بلا هدف **والسهر في الرغي**... الخ، وتجعل الإنسان ثقيلاً في فكره الروحي متبلداً في إحساس **كالريشة المبللة بالطين.**

**فالنفس الطاهرة هي كالريشة غاية في الرقة والنعومة في طبيعتها - قابلة للطيران بسبب خفتها تنطلق لتطير بالصلاة والتأمل الروحي مرتفعة عن الأمور السفلية.**

أما إذا أفسدتها اللذات الجسدية وتبللت بطينها ووحلها فإنها ليست فقط تعجز عن الانطلاق الروحي بل بالعكس دائماً تنحدر إلى أسفل.

**اللذة صنارة في يد الشرير**:

بها يسقطنا العدو في الخطية (عن القديس باسيليوس)، من أجل هذا إذا أمسكت صنارة اللذة بالعين أو باللسان أو بالأذن جذبت الإنسان بكليته للخطية.

**صلب اللذة**:

هذه اللذة ينبغي أن تصلب على الصليب: إن تثبيت النظر في جروح الرب يجرح لذة الجنس المحركة للعين غير البسيطة. والتأمل في عطش الرب على الصليب يعطي معنى للصوم، **فليس الصوم مجرد انقطاع عن الأكل ولكنه صلب للذة شراهة الأكل. والتأمل في الرب عرياناً** على

الصليب **كفيل أن يصلب فينا لذة الاندفاع للبس والزينة التي تكاد أن تحرق البشرية كلها بنار الشهوة.**

وهكذا سنحس بديناميكية الصليب في حياتنا حيث يصبح واقعاً عملياً اختبارياً تصلب عليه كل يوم وكل وقت كل لذة جسدية وعالمية.

ومن ناحية أخرى ستصير كل لذة عالمية وسيلة لتذكر الصليب وتفاعله في حياتنا - سوف يصير الصليب حياتنا، سوف نعيشه ونتفاعل معه - سوف يكون صليبنا الذي به نتبع المصلوب.

**لذة الصليب**:

عبر الأجيال كلها صار الصليب ترنيمة لذيذة وشهية للعين، وممتعة للأذن، صار دم المسيح المصلوب وجسده أشهى طعام للإنسان المسيحي مع كلمة الله التي هي أشهى من العسل. **إن تدرب الإنسان على تذوق الحلاوة في كلمة الله والصليب سيجعل النفس تتأفف من كل لذة جسدية.**

إن الحوار الروحي والعطش الشديد للذة الجنس والعالم واللبس والأكل سببه بلا شك حرمان في التربية من اللذة الروحية.

هيا بنا يا أخي بسرعة نعود لبيت أبينا لنرى ونأكل العجل المسمن ونتلذذ بحضن الآب... ونترك لذة الخرنوب والزناة والزواني أي محبة العالم (لو١٥).

وأمامنا قطعة روحية من تأملات أوغسطين الذي كان غارقاً في شهواته الجسدية عندما رجع إلى المسيح واكتشف اللذة الحقيقية في المسيح وذلك في حديثه مع أمه مونيكا:

"جلسنا نتحدث سوياً في لذة واشتياق... إلى هذه الينابيع السماوية التي تفيض بالحياة عندك... كانت تتضاءل أمامنا ألذ المسرات بأشهى عروضها حتى تصغر عن أن نقارنها أو حتى نذكرها بجوار أي سعادة... كنا نحلق بشهوة ملتهبة نحو الله... حتى نصل إلى الرحب اللانهائي حيث جلست (يا الله) تطعم الأبرار من طعام الحق إلى الأبد".

وكان يقارن أحد القديسين ملذات العالم بأنها زبل حقير بالنسبة للذة الروحية.

+ + +

**ثالثاً: صليب الأفكار**

عقل الإنسان مركز لتصورات غير محدودة. خلقت أصلاً لتسبح في محبة الله غير المحدودة التي تجسمت في الصليب، ولكن الإنسان أشبعها بتصورات مختلفة تكاد أن تملأ حياته جحيماً لا يقدر أن ينقذه أحد منها إلا الذي نزل إلى الجحيم من قبل الصليب: والتصورات دائماً لها دوافع معينة منها:

فعندما يمتلئ القلب **بالكراهية** يمتلئ الذهن بتصورات لا نهائية لها من أفكار الغضب، وظن السوء والشماتة وتصور المصائب كلها تحل بالإنسان الذي نكرهه.

وعندما يندفع القلب وراء **الكبرياء**... يسرح الذهن في أفكار العظمة وإدانة الآخرين، وتخيل الظهور في شكل القديسين.

وعندما يهتم القلب **بالذات**... تتسرب أفكار الخوف على الذات، والخوف من المستقبل والقلق، والخوف من الناس وتخيل الأضرار تحيط بنا وأن كل الناس يضمرون لنا الشر.

وإذا عاش الإنسان باحثاً عن اللذة وكابتاً إياها في ذاته يملأ حياته بالأفكار الجنسية وتتحول حياته إلى جحيم مشتعل.

وبينما نحاول ضبط هذه الأفكار والخيالات وغيرها، **نعجز ولا نجد أمامنا إلا الصليب ملجأ النفوس المجاهدة.**

**ففي الصليب تذوب الكراهية**، ويحل محلها الحب والغفران، **وفي الصليب ينتهي الكبرياء** وتظهر وداعة الحبيب الذي لم يفتح فاه.

**وفي الصليب ينتهي الخوف** ويحل محله حياة التسليم الكامل. وفي الصليب تنتهي الطياشة الجنسية ونرتفع إلى الأفكار السماوية.

**التأمل في الصليب هو وحده القادر أن يشعل في قلوبنا نار الحب الإلهي** حتى تنسكب محبة الله في قلوبنا من

الصليب، حيث نتحد بالمسيح فنعيش التسامح والوداعة والثقة الكاملة بالله في الضيق.

وهكذا يتحول الصليب إلى اختبار مستمر طول اليوم مع يسوع المصلوب - حيث تبدأ أفكارنا تسبح في محبة الله المتجسمة في الصليب والتي تحصر كل أفكارنا فيه.

+ + +

**رابعاً: صليب الاضطرابات النفسية**

عقل الإنسان مركز لتصورات الخوف والقلق النفسي والاهتمام بالمستقبل. هذه الاضطرابات النفسية تجعل الإنسان بعيداً عن الهدوء النفسي والاستقرار **وهذا التوتر النفسي كثيراً ما يكون سبباً في طياشة الفكر والنظر والقلب** كقول الكتاب "لا سلام للأشرار قال إلهي". ولكن أولاد الله أعطاهم الرب يسوع سلاماً حقيقياً - ليس كما يعطي العالم.

فالقلب المملوء بالسلام قادر أن يسير بخطوات ثابتة **نحو الالتصاق بالله.**

**هل استأمنت اللّه على حياتك؟**

في وسط صراعات العالم ومضايقة الكثيرين لنا، الانشغال بالتزامات الحياة واهتمامات المستقبل... في وسط كل هذا كيف تحصل على الهدوء النفسي؟

والإجابة على ذلك أنه بعد أن اشترانا الله بدم ابنه **كيف لا نسلم حياتنا له، كيف لا نستأمن الله عليها؟** لذلك يقول لنا الرب "حياتكم في ملكيتي وأنا اشتريتها بدمي **فلا تخافوا**... كيف لا إيمان لكم؟" ***"لا تهتموا بالغد"***، ***"حتى خطاياكم أنا أغسلها بدمي"***.

**أنظروا للصليب**:

***"في يديك أستودع روحي"*** هذه آخر التعاليم التي نطق بها الرب على الصليب. فالصليب ليس هو من صنع الناس ولكنه عمل إلهي أتمه الرب. كان الصليب في مظهره الخارجي تعبيراً عن ظلم العالم، والرب واقع فريسة في أيدي حكام لا قلب لهم... أما من الداخل فالصليب كله سرور وحب وتسليم للآب لأجل خلاص العالم ***"... الذي إذ***

***شُتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل"*** (١بط ٢ : ٢٣).

**صلب الذات**:

***"من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"*** (مر ٨ : ٣٤).

الحركة الديناميكية مع الصليب، حركة داخلية يكون هدفها الأول صلب الذات. فالذات هي المركز الذي تدور حوله اللذة والاهتمام والأفكار، والمظهر (اللبس)، الكرامة، والإدانة، والجري وراء العالم والماديات... **والصليب هو الوسيلة الوحيدة لصلب الذات**.

**فالنظر ليسوع المصلوب** ينزع منا لذة الذات واهتماماتها.

**ليسوع العريان** ينزع منا لذة مظهر اللبس.

**ليسوع المهان** ينزع منا حب الكرامة ودينونة الآخرين.

**للمسامير** التي سمر بها الرب، يرفع أفكارنا من طياشة الأعمال الهيولية إلى تذكار أحكامه السمائية.

## ديناميكية الصليب في حياتي

وهكذا **بالاختبار اليومي** في كل لحظة يصبح الصليب مركز تعاملنا مع الله... **ومن فقد صليبه افتقد طريقة لله**، ومن فقد صليبه صارت حياته باردة فاترة - لا تعامل بينه وبين الله.

**فالصليب هو حياتي**، عليه أصلب ذاتي والعالم، ومنه يتفجر فيَّ ينابيع اللذة الروحية والنظرة المقدسة، والحب الإلهي والفكر المقدس، **والصليب هو ترنيمة انتصاري وتسليم حياتي للذي استأمنته عليها** ، أراه وأتفاعل معه في عملي وفي كليتي، وفي الترام، وفي مذاكرتي، ومع أصدقائي، ومع الذين يسيئون إليَّ، وفي صلاتي وفي نومي ... **إنه كل حياتي !!**